Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 23:2 (1988

اهمية دراسة النقوش الكتابية العربية فى البنغال

محمد يوسف صديق

تحظى دراسة النقوش الكتابية بأهمية كبيرة من نواح عديدة . فهى تساعدنا فى تحديد الفترة التاريخية خاصة فى حالة اذا ما ذكر فيها تاريخ النقش .

ونلاحظ ان معظم هذه النقوش تتضمن الحقائق التاريخية عن الحقب الزمنية المختلفة للحكام و الوزراء والأمراء وغيرهم . وهذا ما يساعدنا فى تحديد تلك الفترات المتتالية. وفى حالة شواهد القبور فانها تزودنا غالبا ببعض المعلومات المؤكدة عن بعض الجوانب من حياة المتوفى و خاصة تاريخ و فاته . (١) كذلك ان النقوش توضح لنا مستوى الفن فى تطور الكتابة وزخرفتها وجودتها التى وصل اليها الفنانون فى تلك العصور وكذلك تلقى الاضواء على مدى تطور بعض جوانب الفنون والحضارة فى تلك الفترة و مستوى تقدمها .

ونستطيع ان نقول ان دراسة النقوش تعد حلقة تاريخية لها أهميتها تكمل الحقبة التاريخية . ومن الملاحظ ان دراسة الاحجار التى استخدمت فى كتابة هذه النقوش قد تساعد فى التعرف على المحاجر التى كانت تقطع منها الاحجار فى العصور المختلفة . ومن ناحية أخرى تشير الى المهارة التى وصل اليها الفنانون في تقطيع هذه الاحجار واستعمالها لأهدافهم الفنية مثل النحت والنقش ،

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

وكذلك نعرف من هذه النقوش كثيرا من الاسماء التى ربما لم يرد ذكرهـا فى المستندات التاريخية او المصادر الاخرى. وقد تكون هذه الاسماء ذات أهمية تاريخية تزودنا بمعلومات جديدة، وتلقى بعض الاضواء على التنقلات والهجرات، وبعض النواحى اللغوية، ويمكن ايضا ان نستنبط منها بعض المعلومات فى العلوم الاجتماعية والدينية والنظم حيث ان بعض هذه الأسماء الواردة قد تكون مصحوبة بالوظائف أو الحرف أو المذاهب بالاضافة الى ذلك أن نصوص هذه النقوش قد تزودنا ببعض الحقائق الثمينة عن نظم الحكم و الجيش والادارة والسياسة والمعتقدات . فهذه النقوش كما هو معلوم تشتمل على ألقاب مختلفة وأدعية متنوعة . (٢)

ومن جانب آخر فان دراسة النقوش الكتابية قد تفتح لنا مجال مقارنتها بالمصادر الأخرى من وثائق و مخطوطات و مسكوكات ومؤلفات تاريخية. فهى تضيف حقائق جديدة وتصحح أخطاء شائعة . (٣)

وفضلا عن ذلك فان دراسة النقوش تساعدنا فى تحقيق الروابط الأسرية بين اصحاب الشواهد والاسماء الواردة فى النقوش المختلفة . فعلى سبيل المثال نعرف من النقوش فى عهد السلطان حسين شاه بأن اسم أبيه كان سيد أشرف الحسينى، وورد اسم (أشرف) فى احد النقوش فى عهد باربكشاه، ويمكن ان يكون كلاهما نفس الرجل.

وفى مثال آخر، نرى أن السلطان فيروز شاة الأول تلقب بلقب ,,دلوى،، فى نقش سلهت بتاريخ ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣ م . وهذا اللقب غالبا يشير الى أن السلطان فيروز شاه كان أصلا من دلهى .

ونلاحظ فى نقش باره درى بأن المعمار مجد الكابلى قد استخدم لقب (كابلى) . ونستطيع ان نستدل منه أنه كان أصلا من كابل قبل استيطانه فى البنغال . وهذا الامر قد يلقى الاضواء على التنقلات

والهجرات من آسيا الوسطى الى البنغال التى حدثت فى القرون الوسطى لاسباب عديدة، ومنها هجمات المغول فى تلك الفترة على المراكز الحضارية فى آسيا الوسطى، وهى التى ادت الى هجرة كثير من الفنانين واصحاب المهن المعمارية الى المناطق البعيدة والمأمونة مثل البنغال. وكثيرا ما تشير هذه النقوش الى المنشئات والعمائر مثل المساجد و القصور والقلاع والحصون والأسبلة والجسور . فهى تمدنا بالكثير من المعلومات عن التطور المعمارى والحضارى .

ودراسة النقوش العربية فى البنغال لها أهمية خاصة حيث أن تاريخ هذه البلاد بقى مهملا من قبل الباحثين والمؤرخين لمدة طويلة . و نادرا ما اهتم به المؤرخون المسلمون فى القرون الوسطى (٤) والسبب فى هذا ربما يعود الى بعد البنغال عن دلهى التى كانت مركزا حضاريا لشبه القارة الهندية . وقد تجمّع فيها العلماء والمؤرخون. وجدير بالذكر أن السلاطين المسلمين بدلهى كانوا يرعون المؤرخين رعاية خاصة، ويمنحونهم الأموال الطائلة والجوائز الثمينة، الأمر الذى جعلهم يعيشون على اكتاف هؤلاء السلاطين. فلم يهتموا الا بهم وبما حولهم، فأهملوا أحداث المناطق البعيدة مثل البنغال، وحتى لو أشاروا اليها فانهم لم يذكروا الا ما يؤيد السلطنة . فكانوا يمدحون سلاطين دلهى ولهذا نجد أن المخطوطات والوثائق التاريخية التى دونت فى دلهى فى تلك العصور لا تساعدنا كثيرا فى دراسة الحقائق التاريخية عن البنغال. وأن هذا الأمر يزيد من أهمية دراسة النقوش العربية فى البنغال، لأنها تعطينا معلومات مفيدة عن تلك الفترات التى نعالجها، وتساعد على وقوفنا على الحقائق التاريخية. والحق ان معظم هذه النقوش تحمل تاريخ الانشاء واسماء السلاطين والحكام والأمراء الذين أمروا بانشاء العمائر، الامر الذى يعتبر ذا أهمية كبيرة عند المؤرخين . ونستطيع ان نقول ان تاريخ البنغال لا يمكن تدوينه الا بعد الاستفادة

من هذه النقوش الكتابية التى تلعب دور الجسر للربط بين الوقائع التاريخية المتفرقة .

وتحتل البنغال مكانا هاما فى العالم الاسلامى فى الوقت الحاضر اذ يبلغ عدد سكانها اكثر من مائة مليون من السكان المسلمين فضلا عن استمرار حكم المسلمين بها اكثر من ستة قرون . وعلى الرغم من أهمية البنغال تاريخيا وحضاريا، فقد بقيت هذه البلاد مهملة عند مؤرخى العرب سواء من الناحية التاريخية او الحضارية او السياسية . ولعل السبب فى هذا الامر البعد الجغرافى للبنغال عن العالم العربى وقلة وجود الاتصالات السياسية بينهما فى القرون الوسطى، اذ لم تصبح البنغال جزءا اداريا او سياسيا لأى دولة عربية فى القرون الوسطى وبعدها .

وبلاد البنغال قد ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية مع انتشار الاسلام فى اراضيها. فشيدت فيها العمائر وقامت فيها الصناعات والفنون الاسلامية تحت رعاية حكامها المسلمين . فالمتاحف فى البنغال والهند وفى العالم العربى تزخر بالتحف الاثرية الاسلامية من البنغال، ومما تجدر الاشارة اليه ان الحكام المسلمين قد اهتموا اهتماما خاصا بالخط العربى حيث اتخذوه عنصرا هاما من عناصر الزخرفة على الاحجار و الاخشاب والمعادن والمنسوجات وفى المخطوطات والتحف الاخرى . ولانبالغ لو قلنا أن البنغال يمكن ان تعتبر من أغنى البلدان الاسلامية من ناحية وجود النقوش العربية حيث يصل عددها ما يقرب من مائتين فى العصر السلطانى. ولاشک أن معظمها كانت تتميز بالجودة المتناهية والجمال الأخاذ الذى يدل على ما وصل اليه فنانو ذلک العصر من براعة وجودة فى ذلک الفن .

وتجدر الاشارة الى أن الاحداث التى تلاحقت على البنغال فى الفترات المختلفة قد أسهمت بشكل كبير فى الحاق التلف بالنقوش

العربية و التى تسببت ايضا فى ضياع عدد كبير منها. وكذلك ساعدت البيئة الجغرافية للبنغال على هذا التلف حيث انها تتميز بكثرة الأمطار فى معظم ايام السنة. وهكذا تسبب الأسراع فى تخريب العمائر وضياع معالمها فى وقت قصير. ولا بد ان نشير الى كثرة عدد الانهار التى كانت تتحدى المراكز الحضارية باستمرار عن طريق الفيضانات المتعددة فى موسم الامطار، مثلما حدث مع (غور) و كثير من المراكز القديمة الاخرى. (٥)

ثانيا كانت البنغال دائما ساحة للحروب والمنافسات السياسية بين السلطات المحلية والحكومة المركزية بدلهى. فكان كل طرف يغير على الآخر ويعبث فى أراضيه مما ساعد على تدمير العديد من المبانى والحصون والقلاع والاسوار. وقد تأثرت النقوش الكتابية التى كانت توجد فى هذه العمائر سواء كانت دينية او حربية او مدنية ولا بد ان نذكر أن العمائر الاسلامية ونقوشها الكتابية قد لحقت بها اضرار كبيرة نتيجة لعبث السكان المحليين فيها الذين كانوا يجلبون المواد البنائية من هذه العمائر لاستخدامها في منشئاتهم الجديدة. وقد تلف كثير من النقوش خلال هذه المحاولات بسبب سوء استخدامها. (٦) فلاعجب اذا وجدنا احدى هذه النقوش الكتابية فى جدار بيت احد السكان من عامة الشعب. وهو يفتخر و يعتزبه. والسبب أن مالك البيت قد جلب هذا النقش مع الاحجار الأخرى من العمائر القديمة، ثم استخدمه فى بيته للزخرفة. وهناك دافع آخر وهو أن السكان المحليين المسلمين يحترمون جميع هذه الاحجار التى عليها الكتابات ويجلونها لأنها كتبت بالخط العربى، بالرغم من انهم لايفهمون ما تحتويه هذه الكتابات من معان ، فيتبركون بها. وفى كثير من الاحيان نجد أنهم اذا وجدوا نقشا عربيا فى العمائر القديمة المهجورة، يحملونه الى احدى المقابر ويثبتونه فوقه. ثم يصبون عليه الزيت والسمن على سبيل

الاحترام والتبرک وبالاضافة الى ذلک، فانهم كانوا يسعون من وراء نقل هذه النقوش الى المقابر لتضفى عليها نوعا من الجمال .

كما ينبغى الا يفوتنا ان نذكر انه كان من ضمن هؤلاء الذين نقلوا النقوش من مكانها الأصلى هواة الآثار . ومعظمهم كانوا من البريطانيين الذين وصلوا الى البنغال كموظفين لشركة الهند الشرقية، اذ كان بعضهم لديه هواية خاصة فى جمع الآثار والنقوش القديمة. فنقلوا الكثير من هذه النقوش خلال فترة إقامتهم فى البنغال لاشباع هواياتهم الفنية، او سعيا وراء المادة، فكانوا لا يبالون بالأخطار التى قد تلحقهم حيث كانوا يدخلون الأماكن المهجورة والعمائر القديمة المتهدمة للحصول على احدى اللوحات الاثرية . ومعظمهم نقلوا مجموعاتهم الى بلادهم بعد ما انتهوا من خدمتهم فى الهند. (٧)

والحق ان الحكام والسلاطين فى البنغال عبر العصور المختلفة لم يهتموا اهتماما كبيرا بالعمائر الاسلامية وصيانتها والحفاظ عليها . بل تركوها مهملة فى بعض الاحيان . ولم يحافظوا على صيانتها و حراستها . فكانت دائما مكانا للنهب والسلب من قبل هؤلاء الذين كانوا ينقلون بعض حجارتها لاستخدامها فى مبانيهم أولبيعها لهواة الآثار .

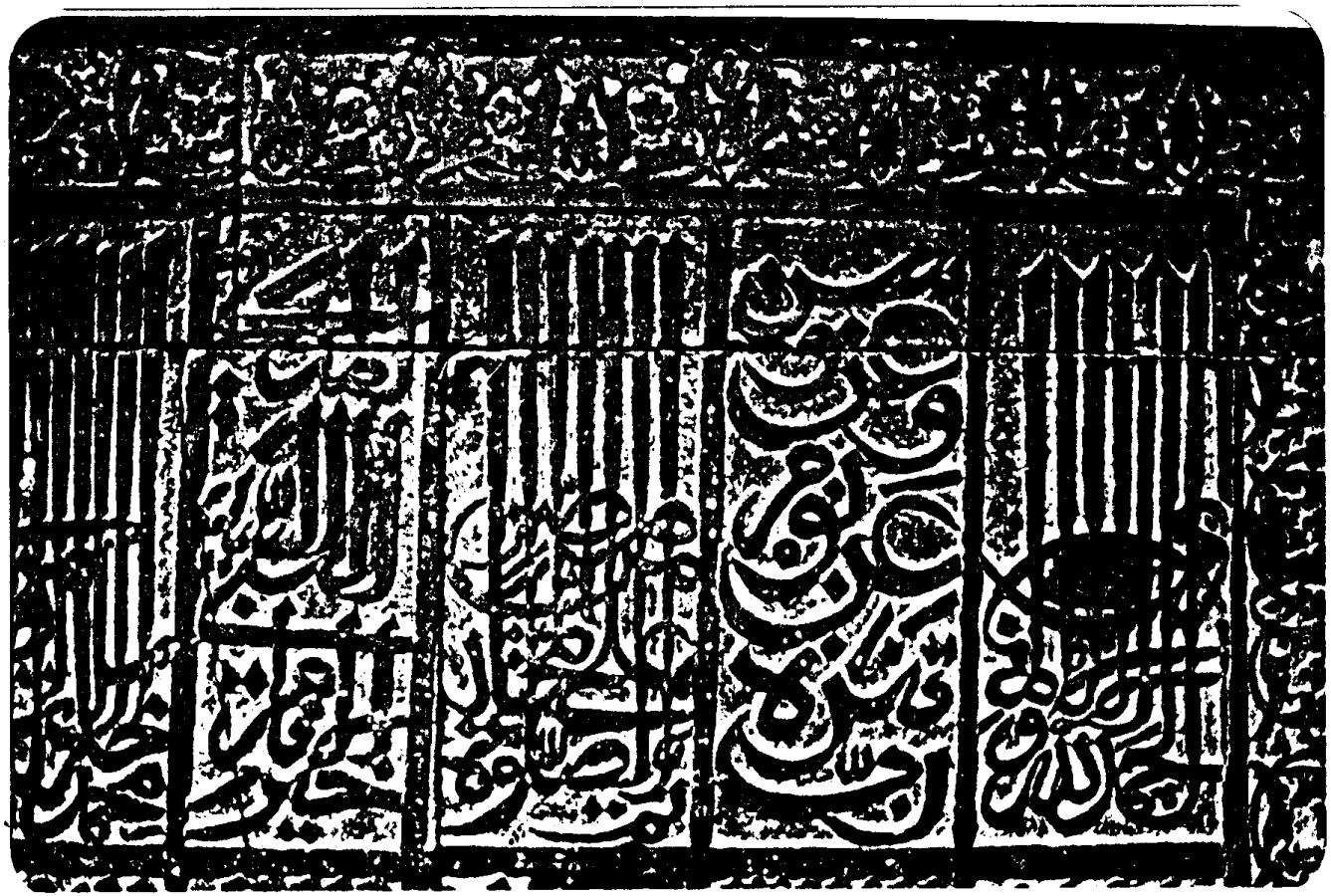

صورة جزء من نقش عربى بتاريخ ٨٨١هـ الذى يسجل انشاء مدخل منتزه خاص للقصر الملكى فى عهد السلطان باربكشاه حاكم البنغال و هذا النقش محفوظ الان فى متحف جامعة بنسلفانيا بفلادلفيا فى الولايات المتحدة الامريكية

نقش عربى المؤرخ ٦٤٠هـ الذى يرجع الى الحكم الاسلامى المبكر فى البنغال

نقش عربى المؤرخ ٦٩٢هـ الذى يسجل اسم السلطان كيكاوس شاه حاكم البنغال

هـوامش

(١) دكتور حسن الباشا: أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية، مجلة دراسة تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة رياض ١٣٩٩ هـ . الكتاب الاول ، ج ١ ، ص ٨١ ـ ٨٣

(٢) ,,اهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة،، سبق الاشارة اليه، ص ٨١ ـ ٨٢

(٣) المرجع نفسه، ص ٨١ ـ ٨٥ .

(٤) ومن أوائل المؤرخين المسلمين الذين تناولوا دراسة تاريخ البنغال بشىء من التفصيل (ابو عمر منهاج الدين بن سراج الدين الجوزانى) الذى ألف كتابا سماه (طبقات ناصرى)، وحيث أن المؤلف عاش فى البنغال فترة من الزمن ، فقد تكلم عنها كثيرا على ضوء مشاهداته بنفسه، اما بقية المؤرخين فجميعهم كتبوا عن تاريخ البنغال بشكل موجز .

(٥) معظم هذه المدن والمراكز الحضارية كانت تقع على شاطئ نهر غنغا او شواطئ بعض أنهار أخرى، وكانت تتأثر ايضا بعض الاوقات بتغيير خط سير الانهار و المثال على ذلك مدينة (غور) التى هجرها سكانها بعدما تغير نهر غنغا من خط سيره القديم .

(٦) Montogomary Martin: Hist. and Topography of Eastern India; Vol. IV, p. 71.

(٧) Sayed Mahmudul Hasan: Mosque Architecture of Pre-Mughal Bengal; University Press Limited, Dacca, 1971, p. XI.